إتيقا البيئة في الفكر الفلسفي الغربي المعاصر

Ethics of the milieu in the Contemprary Western philosophical .

محمد بوحجلة،
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف-
البريد الاليكتروني: akramaladin-2013@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: .09./.02./2020 تاريخ القبول:05 ../../2020/11 تاريخ النشر: 2020/06/01

ملخص: تعالج هذه الورقة البحثية، حضور البيئة في الفكر الفلسفي المعاصر، وتبحث في دوافع وأهداف نشأة مبحث فلسفي جديد عرف بـ "إتيقا البيئة"، وفي هذا الصدد سنعمل على تقديم دراسة تحليلية للمشهد الفلسفي المعاصر المتعلق بالبيئة بالتركيز خاصة على الدراسات التي قدمها الفيلسوف الألماني هانس يوناس Hans Jonas والفيلسوفان الفرنسيان ميشال سير Michel Serres ولوك فيري Luc Ferry.

كلمات مفتاحية: أخلاقيات البيئة، أخلاقيات المسؤولية، أخلاقيات المستقبل، أخلاقيات الاختلاف.

Abstract: This reserch paper talkes the presence of the milieu envirement in the Contemprary philosophical thinking, it searches the motives and goals of the existance of a new philosophical reserch, known as “Ethica Milieu”, So, we will try to present an analytic stady to today to the today’s Contemprary philosophy that concerns the Milieu particularly focusing on the previous studies that the german Hans Jonas has presented as fas as the french Michel Serres and Luc Ferry.

Keywords: Ethics of the milieu, Ethics of respansabilty, Ethics of perspectives, Ethics of difference.

المؤلف المرسل: محمد بوحجلة، **الإيميل:** akramaladin-2013@hotmail.fr

1.مقدمة:

تميزت الحياة الإنسانية المعاصرة بتحولات هامة وتغيرات جذرية في جميع المجالات، ولكن هذه التحولات ترتبت عليها أزمات متعددة مست جميع جوانب الحياة الإنسانية حتى أطلق على المجتمع المعاصر مجتمع الأزمات، فإضافة إلى الأزمات الإقتصادية المتتالية هناك أزمات أكثر خطورة وتعقيدا مثل الأزمات السياسية التي تسببت في عدة حروب مدمرة والأزمات الاجتماعية العديدة سواء ما تعلق منها بالفرد أو المجتمع كا الهجرة والبطالة والمخدرات ومختلف الانحرافات الاجتماعية والتحرر الجنسي والحركات النسوية ومشكلة العدالة الاجتماعية وغيرها، ولعل أخطرها على الإطلاق هي الأزمة النووية والأزمة الإيكولوجية، وحتى العلم لم يسلم من هذه الأزمات ولعل الباحثين في مجال فلسفة العلوم يعرفون جيدا أزمة العلم الرياضي بعد ظهور الهندسات اللاإقليدية وأزمة الفيزياء بعد ظهور نظرية النسبية، وحتى الفلسفة المعاصرة يمكن تسميتها بفلسفة الأزمات لأنها حاولت دراسة وتحليل هذه الأزمات المختلفة، وفي هذا السياق تكفلت فلسفة العلوم بالتأمل في أزمة العلم ومختلف قضاياه المنهجية في حين تكفلت الفلسفة السياسية والاجتماعية بالنظر والتفكير في مختلف الأزمات والقضايا ذات الطابع السياسي والإقتصادي والاجتماعي، بينما تكفلت الفلسفة الأخلاقية بالتأمل والنظر في قضايا جديدة أفرزها التطور العلمي والتقني والحضاري مثل قضايا البيولوجيا والطب ومسألة تقسيم العمل والمشكلات البيئية، وأصبحنا أمام ثلاثة فروع أساسية للفلسفة الأخلاقية وهي: البيواتيقا، واتيقا العمل أو المهنة، واتيقا البيئة، وأصبح السؤال الحاسم هنا هو كيف يمكن في عالم توقف عن الرجوع إلى غايات وفقد كل مرجعية دينية وميتافيزيقية يمكنها تقديم صياغة للأخلاق النظرية أن يشكل مفاهيم ومبادئ قيمية جديدة تنظم الحياة الاجتماعية، وكيف يمكن تأسيس أخلاقيات نظرية جديدة يكون مجال اهتمامها الإنسان والبيئة معا؟

2.التحليل:

أصبح من المؤكد اليوم أننا نعيش في عالم وقعت فيه تحولات هامة في جميع المجالات خاصة في المجال العلمي والتقني، فمن جهة هناك تطور مذهل في علوم المادة وتقنيات الاتصال وتكنولوجيا التحكم الآلي أدى إلى ثورة في عالم الاتصال والتواصل، حيث تقلصت المسافات والزمن بواسطة التكنولوجيا، وأصبح نقل المعلومات يتم بطريقة سريعة عبر شبكة الانترنت واقعا ملموسا، وأضحى العالم عبارة عن قرية كونية، ومن جهة أخرى هناك تقدم كبير في مجال البيولوجيا والأبحاث الوراثية والتي لم يقتصر تأثيرها على إحداث ثورة في مجال الطب بفضل تطور منهج دراسة الطبيعة الإنسانية فقط، ولكنها أيضا غيرت النظرة اتجاه الإنسان، ولكن هذا التطور العلمي والتقني أحدث تحولات أخرى ذات طابع سلبي في عالمنا من الناحية الاجتماعية والبيئية، حيث نلاحظ اليوم مشاكل اجتماعية وسياسية واقتصادية عويصة تتمثل خاصة في اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية ومشكلة الهجرة وغيرها، ومشكل أخرى تتعلق بالبيئة، من أهمها التلوث والخطر الذي أصبح يشكله الثقب الذي حدث في طبقة الأوزون، وهذا أدى بفلاسفة الإتيقا إلى الاهتمام بدراسة وتحليل الأزمات الاجتماعية التي تضرب العالم طولا وعرضا من جهة ودراسة وتحليل ما أصبح يعرف بالأزمة البيئية من جهة أخرى، وما يهمنا في هذا الموضوع هو الأزمة الإيكولوجية ومدى وحدود إمكانية تأسيس أخلاق نظرية جديدة في مجال البيئة.

وفي هذا السياق تزايد الاهتمام في الفترة المعاصرة من طرف الفلاسفة والمفكرين والعلماء والإعلاميين وغيرهم بمشكلات البيئة وظهرت الكثير من الأعمال الفلسفية والأبحاث العلمية والمقالات الصحفية وهيئات محلية ودولية تحاول تشخيص الأوضاع البيئية، وتسلط الضوء على السياسات الاقتصادية والصناعية التي تدمر وتلوث البيئة، وتحاول الوقوف في وجه التحديات التي أصبحت تواجه البشرية في هذا المجال، وفي هذا الصدد انصب اهتمام بعض الفلاسفة والمفكرين على إثارة قيم أخلاقية ايكولوجية عالمية في نفوس الناس باختلاف أجناسهم وعقائدهم ومذاهبهم الدينية باعتبار أن الفلسفة ذات بعد عالمي

وكوني يتجاوز الحدود الوطنية والقومية الضيقة، فالخطاب الفلسفي في هذا المجال يوجه إلى الإنسان باعتباره المسؤول الأول والأوحد عن ما وقع من تغيرات بيئية خطيرة أصبحت تهدد وجود الكائنات الحية دون استثناء بما فيها الوجود الإنساني نفسه، وقبل التطرق إلى مختلف المواقف الفلسفية المتعلقة بهذه المشكلة، نود أن نتوقف في البداية عند تحديد مفهوم أخلاقيات البيئة.

أخلاقيات البيئة (الأخلاق الإيكولوجية) L'éthique de l'environnement: « هي من أقسام الأخلاق العملية، نشأ منذ ثلاثين عاما وموضوعه المعايير والقيم التي تدور حول العلاقات بين الإنسان والكائنات الحية الأخرى، كما أنه يسجل الآثار السلبية للقوة التكنولوجية والاقتصادية، ثم أنه يهتم بتأسيس رؤية جديدة لمسؤولية الإنسان عن مستقبل الحياة في هذا الكوكب، وهذا العلم على صلة بالأخلاق البيولوجية، ونشأ هذا العلم بسبب أزمة حادة واجهت المجتمع الصناعي وبسبب الوعي بتلوث الهواء والمياه والتربة الأمر الذي أدى إلى تدهور البيئة إلى الحد الذي قامت فيه المظاهرات وصدر تقرير نادي روما سنة 1972 وكان كل ذلك تعبيرا عن الهلع من هذا المشكل الذي قد يفضي بالإنسانية إلى أزمة خطيرة إذا استمر الأمر على هذا الحال »[1].

ويعني هذا أن "اتيقا البيئة" هي فلسفة أخلاقية جديدة تريد توجيه الوعي نحو النشاطات الإنسانية واتجاه البيئة الطبيعية وتدافع على اتيقا للمسؤولية اتجاه هذه الطبيعة، وهي فلسفة تحمّل الإنسان مسؤولية ما آلت إليه الطبيعة من تلوث عام لا حدود له واستنزاف للموارد الطبيعية، وأدى هذا إلى انتشار الوعي بالدفاع عن البيئة الطبيعية التي أصبحت في حالة هشة نظرا لما تعرضت له من أحداث، كما نبهت هذه الفلسفة الجديدة أيضا إلى أن التطور الاقتصادي والصناعي والعمراني للمجتمع المتوجه نحو الاستهلاك التجاري لا يحقق النجاة والخلاص ولا يمكنه الصمود أمام النتائج المرعبة لتدهور البيئة .

إن مشكلة الوعي بحماية البيئة أنتجت تفكيرا فلسفيا غزيرا في هذا الموضوع، وهو فكر فلسفي موازٍ لعلم خاص يهتم بهذا الموضوع ويدعى علم البيئة أو الإيكولوجيا

L'écologie وهو علم يدرس الوسط الطبيعي للكائنات الحية ويهدف إلى إعادة تحقيق التوازن البيئي، ومن الفلاسفة الذين بحثوا في هذا الموضوع نجد الفيلسوف والثيولوجي الألماني المعاصر هانس يوناس Hans Jonas (1903 - 1993) والفيلسوفان الفرنسيان المعاصران ميشال سير Michel Serres (1930-2019) ولوك فيري Luc Ferry (ولد سنة 1952)، وهم الفلاسفة الذين ستكون مواقفهم محل تحليل في هذه الموضوع.

موقف هانس يوناس: هو أحد المنظرين والمؤسسين الأوائل للفلسفة الإيكولوجية

يعتبر الفيلسوف والثيولوجي الألماني المعاصر هانس يوناس Hans Jonas من أهم فلاسفة الإتيقا المعاصرين، اشتهر بكتابه "مبدأ المسؤولية: نحو إتيقا للحضارة التكنولوجية"" Le principe de la responsabilité" الذي أصدره سنة 1979، وكذلك بعمل آخر هو "نحو إتيقا للمستقبل"، وقد نظر هانس يوناس في الشروط الجديدة المفروضة على النشاط الإنساني بواسطة التحولات البيئية، واقترح إتيقا للمسؤولية اتجاه الأجيال المقبلة، وهذه الإتيقا كما يرى هانس يوناس تتجاوز المجال التقليدي للإتيقا الذي كان يركز على أساس مجال علاقات الإنسان مع نفسه ومع الغير، وبما أن الإتيقا التقليدية تتمحور حول الإنسان فهي غير قادرة على منح معايير لتصرفات صحيحة اتجاه الطبيعة، إن إتيقا المسؤولية عند هانس يوناس تنبه إلى الأخطار التي يمكن أن تحدث في المستقبل القريب أو البعيد بسبب التصرفات الحمقاء للإنسان اليوم اتجاه الطبيعة .

وتعد "أخلاقيات المسؤولية" من أهم التيارات الفلسفية المعاصرة، قام فيها هانس يوناس أولا بانتقاد نظرية المركزية الإنسانية (الإنسان مركز الكون) التي ترجع جذورها في الثقافة الغربية إلى فكر عصر النهضة وخاصة إلى الفكر الديكارتي (نسبة إلى ديكارت) صاحب فكرة "الإنسان سيد الطبيعة ومالكها" ، وكان هدف يوناس من وراء ذلك تقديم مفهوم جديد للأخلاق وتقديم مفهوم جديد للمسؤولية، وفي هذا يقول يوناس: « الأخلاق السابقة عقيمة لأنها لم تأخذ بعين الاعتبار الحالة العامة للإنسانية والمستقبل البعيد للنوع

الإنساني في حد ذاته »[2]، وقدحاول يوناس أن يعيد بناء نظرية المسؤولية تحت مفهوم أخلاق المستقبل، تجاوبا مع ضرورة التفكير في المشكلات الأخلاقية الناجمة عن الحضارة التكنولوجية، وقد صرح بذلك في مؤلفه الهام "مبدأ المسؤولية" بقوله: « الأطروحة الأولية في هذا الكتاب هي أن نبين أن وعود التقنية الحديثة أصبحت تمثل تهديدا وخطرا حقيقيا على البيئة وعلى الإنسان في حد ذاته »[3].

وقد كان موقف يوناس من الآثار التي خلفها التطور العلمي والتكنولوجي راديكاليا ويمكن اعتباره بمثابة تأسيس لتفكير أخلاقي نقدي جديد، فهو على عكس ما كان يعتقده معظم فلاسفة اللاّهوت والإيديولوجيات المختلفة الذين كانوا يعلقون آمالا كبيرة على خلاص العالم من مشاكله اعتمادا على الأخلاق الكلاسكية، فهو يرى أن هذه الأخلاق عقيمة ومشروطة بإمكانية تحققها وصلاحيتها، ووظيفتها محدودة بأوهامها وتناقضاتها، لأن « الديالكتيك الذي أصبح يتحكم في الواقع، هو أن التقدم خلق مشاكل جديدة وأصبح غير قادر على حلها »[4]، وقد حدد يوناس الهدف من بحثه هذا بقوله: « أصبح من واجب الإنسان الحفاظ على البيئة سليمة »[5].

وفي هذا السياق يرى يوناس أن كل الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات تعتمد على البيئة المحيطة في مصدر حياتها، وأن كل هذه الكائنات مهما كانت درجتها في سلم هذه الكائنات تملك وعيا في حاجتها للطبيعة بدرجات مختلفة والدليل على ذلك سعيها كلها إلى إدامة حياتها بما تأخذه من البيئة، وتتأسس فلسفة يوناس في هذا المجال على ثلاثة مفاهيم أساسية وهي: الغائية والتكامل والوعي، فكل كائن حي يسعى إلى تحقيق غايته من الحياة، وكل كائن يعتمد على الآخر في تحقيق غايته وهذا ما يعرف علميا بدورة الحياة، وكل كائن حي يعي ذاته ولكن الإنسان هو الأكثر وعيا وبالتالي هو المسؤول عن تحقيق الغاية من الحياة وحماية هذه البيئة.

ويترتب على ذلك حسب يوناس أنه ليس المهم أن نحيا فقط ولكن المهم هو هو أن نحيا حياة جيدة وكريمة وسعيدة، ليس للنوع الإنساني فقط بل لكل أنواع الكائنات

الحية، ويحمّل يوناس الإنسان الحاضر مسؤولية حقوق إنسان المستقبل ومسؤولية حقوق الكائنات الحية المستقبلية، ويقول في هذا الصدد: « الواجب الجديد يؤكد أنه ليس من حقنا المخاطرة بحياتنا نحن فقط، ولكن لا يجب أيضا المخاطرة بحياة الإنسانية جمعاء، ولا يجب علينا أيضا المخاطرة بمستقبل الأجيال المقبلة »[6]، ويعني ذلك أن الأجيال الحالية يجب ألاّ تتصرف بطرق تشكل خطرا على وجود الأجيال المستقبلية لأن تعيش هي أيضا حياة كريمة وآمنة، فكل جيل إنساني هو عضو من أسرة إنسانية واحدة وبالتالي يجب عليه أن يراعي حقوق الأجيال التي تأتي بعده، ومجمل القول عند يوناس أن الوعي الإنساني يدعونا إلى تحمل مسؤوليتنا اتجاه الآخرين، وتجاوز الأنانية وتأكيد المسؤولية الأخلاقية، وهذا ما يبرر تسمية مذهب يوناس الفلسفي بمذهب أخلاقيات المسؤولية.

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار "مبدأ المسؤولية" من أهم الأعمال المعاصرة التي تنتقد الحداثة والتقدم، و من أقوى ردود الأفعال الفلسفية ضد الخطر الذي أصبح يهدد مستقبل الإنسانية والطبيعة، حيث أعرب يوناس عن مخاوفه من تطور البحث العلمي في المجتمعات الغربية المعاصرة، ولاحظ هانس يوناس القوة الشديدة للتكنولوجيا ونزعتها العدمية المدمرة للطبيعة والإنسان، والتي اختفى معها الإيمان بالقيم المطلقة التي أسسها الدين والميتافيزيقا، وربط يوناس بين الخطر المشترك المحدق بالطبيعة والإنسانية، وهو خطر شديد يؤدي إلى تشوه أساسي أو إلى الفناء والقضاء نهائيا على الحياة[7]، ولمواجهة هذا الخطر لا بد من تأسيس إتيقا تعنى بالمستقبل، وتفتح قاعدة لسياسة حكومية حكيمة وراشدة يكون اهتمامها الرئيسي حماية الوجود والحياة الإنسانية على المدى البعيد[8].

وعلى ضوء ما سبق يتضح إن إتيقا وسياسة المسؤولية عند هانس يوناس هي منع جميع المؤسسات وخاصة مؤسسات البحث والتطوير من أن تسلك وتتجه نحو الخطر مهما كان بعيدا لأنه لن يؤدي إلا إلى تشويه أو تدمير للإنسانية[9]، ويتضح كذلك أن أخلاق المسؤولية عند يوناس تميزت بكونها أخلاق المستقبل للمحافظة على حقوق الأجيال القادمة،

وبما أن الإنسان هو الكائن الأكثر وعيا والأكثر فاعلية في هذا الوجود، فإنه يجب عليه إدراك هذه المسؤولية المستقبلية نحو الأجيال المقبلة ونحو الطبيعة، وذلك بالمحافظة على الثروات الطبيعية والمادية التي ستعتمد عليها الأجيال المقبلة لاستمرار وتطور الحياة الإنسانية، وهكذا أخذت الإتيقا عند هانس يوناس بعدا يتمثل في شعور الإنسان بالمسؤولية اتجاه نفسه واتجاه غيره وخاصة اتجاه الأجيال المستقبلية وكذلك اتجاه البيئة أو الطبيعة.

موقف ميشال سير: فيلسوف وأكاديمي فرنسي

ومن الفلاسفة الذين اهتموا بهذا الموضوع أيضا نجد الفرنسي ميشال سير Michel Serres الذي دعا إلى ضرورة إضافة "عقد طبيعي" إلى"العقد الاجتماعي" لأن مسألة البيئة تتطلب تطوير فكر شامل على المستوى العلمي وعلى المستوى الفلسفي والعمومي، وفي هذا يقول ميشال سير: « أقصد بالعقد الطبيعي وبالتحديد الميتافيزيقي، الاعتراف من طرف كل مجموعة تعيش وتعمل في نفس العالم الذي يشمل الجميع، ليس فقط كل مجموعة سياسية مرتبطة بعقد اجتماعي ولكن أيضا كل مجموعة سواء كانت عسكرية، تجارية، دينية، صناعية، مرتبطة بعقد قانوني، إن العقد الطبيعي الميتافيزيقي يتجاوز الحدود العادية لمختلف الاختصاصات المحلية، وهو أشمل من العقد الاجتماعي الذي تم بهذه الطريقة في العالم، إن العقد الطبيعي يؤدي إلى ما يمكن اعتباره وجهة نظر عالمية موحدة »[10].

ويحدد ميشال سير بدقة الدوافع التي جعلته يطالب بهذا العقد بقوله: « إن حصيلة الأضرار التي لحقت بالعالم إلى يومنا هذا تعادل الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الأخيرة »[11]، ولهذا فلابد من عقد طبيعي يساعدنا على حماية الحياة الطبيعية على غرار العقد الاجتماعي الذي تكفل بحماية الحياة الإنسانية وإخراجها من حالة الفوضى والحرب، أي أن الهدف من وراء هذا العقد هو كما يصرح بذلك ميشال سير: « إقامة توازن بين مطالب الإنسان في السيطرة على الطبيعة والاستفادة المعقولة من مواردها »[12].

ومن خصائص هذا العقد أنه لا يتأسس على قواعد تشريعية أو سياسية أو اجتماعية أو دينية، وإنما يتأسس على غريزة أو عاطفة الحب حيث يعتبر ميشال سير الحب أوكسيجينا للحياة البشرية، ويقول في هذا السياق: « بدون الحب لا يمكن أن توجد علاقات أو تعاون »[13].

ويواصل ميشال سير تحليله لدور الحب في هذا العقد قائلا: « يجب عليك أن تحب الجميع، وأن تحب الآخرين، هذا الحب المفقود منذ حوالي 2000 سنة إلاّ نادرا هو الذي جعل الأرض جحيما للإنسان، ويمكننا تحديد قانونين لهذا الالتزام التعاقدي، القانون الأول وينقسم إلى قانون خاص يتطلب منا أن نحب الأخ في الإنسانية، وقانون عام يتطلب منا حب الإنسانية جمعاء، حتّى ولو كنا لا نؤمن بوجود إله، أما القانون الثاني فهو يتطلب منا حب العالم، وهذا الالتزام التعاقدي ينقسم بدوره إلى قانون خاص يربطنا بأرض أجدادنا، وقانون عام جديد، يتطلب من أكثر من أي وقت مضى حب شامل للأرض المادية »[14].

ويلخص ميشال سير حديثه عن الحب كأساس لهذا العقد الطبيعي بقوله: « يجب علينا أن نحب والدينا، الطبيعة والإنسان، الأرض والأخ في الإنسانية، يجب علينا أن نحب الإنسانية، ونحب أمنا الإنسانية وأمنا الطبيعية، والأرض، ولا يمكن التمييز بين هذين القانونين، وهذين الالتزامين التعاقديين الاجتماعي والطبيعي يعبران عن التضامن بين الإنسان والطبيعة »[15].

وعلى ضوء ما سبق يتضح أن أخلاق البيئة عند ميشال سير تركز خاصة على ضرورة حماية الأرض بكافة عناصرها بما فيها الإنسان نفسه، وبالتالي يتغير دور الإنسان العاقل من مستعمر للأرض إلى عنصر من العناصر المكونة لهذه الأرض، وما عليه إلا احترام باقي زملاءه (باقي الكائنات التي تعيش على هذه الأرض).

موقف لوك فيري: فيلسوف ووزير سابق للتربية الوطنية بفرنسا

دافع لوك فيري Luc Ferry عن البيئة وتحدث عن فكرة "حقوق الطبيعة" في كتاب شهير (النظام الجديد للإيكولوجيا Nouvel ordre écologique)، وهو العمل الذي طرح فيه قضية الايكولوجيا كمشكلة من مشكلات الحضارة التكنولوجية والصناعية الحديثة والمعاصرة، وكقضية سياسية، وتطرق فيري في هذا العمل إلى ثلاثية "النبات والحيوان والإنسان".

وقد أشار فيري في هذا العمل إلى الإعلان العالمي لحقوق الحيوان الذي صدر سنة 1978 بمبادرة من طرف مجموعة من المفكرين والعلماء والحقوقيين، والذي نص في أحد نصوصه على أن : « كل الحيوانات ولدت متساوية في هذه الحياة ولها نفس حقوق الوجود »[16]، وعلى هذا الأساس أقر فيري بحقوق الحيوان والمساواة بين جميع الكائنات الحية، وانتقد كل صور العنف مع الحيوانات سواء في تربيتها أو في التعامل معها في التجارب العلمية، لأنه إذا كان من حقوق الإنسان الطبيعية هو الحق في الحياة وعدم التعرض للأذى فإن للحيوان كذلك نفس الحق[17].

وانتقد فيري بشدة ذلك التمييز الشائع بين مفهومي الإنسانية والحيوانية واعتبره نتيجة من نتائج الثقافة الإنسانية التي لا تحترم الاختلاف الطبيعي بين الإنسان والحيوان من جهة والإنسان والنبات من جهة أخرى، وهو الاتجاه الفكري السائد الذي يعتبر الثقافة مضادة للطبيعة[18]، وأراد من وراء ذلك التأسيس لما يطلق عليه اسم "ايكولوجيا الاختلاف".

وقد تبنى فيري في هذا المسعى مذهبا يدعى "الإيكولوجيا العميقة" "écologie profond" متبعا في ذلك آراء بعض الفلاسفة الأنجلوساكسون الذين يعود لهم الفضل حسبه في تأسيس أخلاقيات البيئة أمثال الأمريكيين ألدو ليو بولد Aldo lepold "1887-1948" وآرني نايس Arne Naess "1909-1912" والفيلسوفة الانجليزية ماري ميدغلي Mary Midgly "1919-2018"، وتعني الإيكولوجيا العميقة "احترام القيمة الذاتية لكل الكائنات الحية بغض النظر عن فائدتها للإنسان" والمبدأ الأساسي لهذه الإيكولوجيا العميقة هو "الإعتقاد بأن البيئة التي نعيش فيها ينبغي احترام كل ما فيها"[19].

وسميت بالايكولوجيا العميقة لأنها تبحث بعمق في الواقع الفعلي لعلاقة الإنسان مع الطبيعة وهدفها الوصول إلى تأسيس أخلاقيات فلسفية جديدة خاصة با لعلاقة بين الإنسان والبيئة، « الإيكولوجيا العميقة هي نظرة عميقة للمشكلات البيئية واتخاذ الحياة كقيمة في حد ذاتها »[20].

3.خاتمة:

بعد هذه الدراسة التحليلية يمكننا في الأخير أن نستنتج الدوافع والأسباب التي أدت إلى ظهور مبحث فلسفي جديد بعنوان "الأخلاقيات الايكولوجية" والأهداف والطموحات المتوخاة من وراءه والنتائج المترتبة عليه.

ففيما يخص الدوافع والأسباب يمكن القول أن إتيقا البيئة هي فلسفة تهتم بدراسة المشكلات المتعلقة بالأخطار التي أصبحت تهدد الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي والصناعي الذي تسبب في تلوث البيئة التي نعيش فيها.

أما فيما يخص الأهداف والطموحات المنتظرة من وراء هذه الفلسفة فهي عديدة ومتنوعة يمكننا بيانها في النقاط التالية:

- سن تشريعات محلية وإقليمية ودولية ملائمة ورادعة لحماية البيئة.
- نشر الثقافة البيئية عن طريق برامج خاصة في المنظومات التربوية لكل دول العالم تراعي خصوصيات كل دولة وكل منطقة من حيث البيئة والتنمية الاقتصادية.
- التشجيع على البحث العلمي في مجال البيئة.
- تخصيص نسبة من مداخيل الدول ومواردها المالية لقضايا البيئة.
- اتباع سياسات تنموية راشدة وحكيمة تستطيع التخفيف من التلوث البيئي في البحار والمحيطات والغابات والجو وحماية الكائنات الحية النادرة من حيوان ونبات وحماية الصحة الإنسانية.
- أما فيما يخص نتائج الدعاوي الفلسفية السابقة لحماية البيئة هي نشأة العديد من المنظمات الدولية والإقليمية والقطرية، وعقد العديد من الاتفاقيات الدولية في هذا المجال، وسنركز هنا فقط على المنظمات والاتفاقيات الدولية:

- منظمة السلام الأخضر لحماية البيئة والسلم، تأسست سنة 1971 بكندا ومقرها بالعاصمة الهولندية امستردام.
- المنظمة العالمية لحماية الحيوانات البرية تأسست 1981 ومقرها بالعاصمة البريطانية لندن.
- إعلان قمة الأرض سنة 1992 بريو دي جنيرو بالبرازيل.
- برتوكول كيوتو باليابان للحد من الأنشطة الإقتصادية الملوثة للبيئة سنة 1998.
- برتوكول حول المناخ بباريس بفرنسا سنة 2015.
- ولكن معظم هذه البرتوكولات والاتفاقيات تبقى مجرد حبر على ورق نظرا لعدم التزام بعض الدول وخاصة الصناعية منها وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، فهذه الأخيرة علاوة على عدم توقيعها على إعلان ريو دي جانيرو واتفاقية كيوتو تراجعت أيضا على برتوكول باريس الذي وقعت عليه في عهد الرئيس باراك أوباما وتم تجميده في عهد الرئيس دونالد ترامب بحجة ارتفاع التتكلفة الإقتصادية في حالة الالتزام بهذه البرتوكولات والاتفاقيات وانعكاسها سلبا على الحياة الإقتصادية والاجتماعية الأمريكية.

فهل يمكن القول أنه حان الوقت لأن نتجاوز التأمل الفلسفي وننتقل إلى العمل على تأسيس ميثاق حقوق للبيئة وأجيال المستقبل؟

الهوامش:

[1] - وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ط 5، ص، ص، 34، 35.

[2] - Jonas Hans, le principe responsabilité :une éthique pour la civilisation technique (1979), traduit par Jean Greisch, coll « champs » France, Flamarion, 1995 , p33 ; 34.

[3] - Ibid, p, 13.

[4] - Ibid, p, 245.

[5] - Ibid, p, 29.

[6] - Ibid, p, 40.

[7]-Monique Canto-Sperber,dictionnaire d'éthique et de philosophie morale, dictionnaire d'ethique et de philosophie morale, 1er edition, 1996, P.U.F ? Paris, p, 764.

[8]-Ibid, p, 765.

[9]-Ibid, p, 764.

[10]- Serres Michel, Le contrat naturel, Édition François Bourin, Paris, 1992, p, p, 78, 79.

[11] - Ibid, p, 58.

[12]- Ibid, p, 67.

[13]- Ibid, p, 82.

[14]-Ibid, p, 82, 83.

[15] -Ibid, p, 83.

[16]-Fery Luc, Le Nouvel Ordre écologique " L'arbre, l'animal, l'homme", Edition Grasset & Fasquelle, Paris, 1992, p, 37.

[17] - Ibid, p[57-86].

[18] - Ibid, p, 37,38.

[19] - Ibid, p, 107, 108, 109.

[20] - Ibid, p146.

5. المصادروالمراجع:

1- وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ط 5.

2- Fery Luc, Le Nouvel Ordre écologique " L'arbre, l'animal, l'homme", Edition Grasset & Fasquelle, Paris, 1992.

3- Jonas Hans, le principe responsabilité :une éthique pour la civilisation technique (1979), traduit par Jean Greisch, coll « champs » France, Flamarion, 1995.

4-Monique Canto-Sperber,dictionnaire d'éthique et de philosophie morale, 1er edition, P.U.F ? Paris, 1996.

5-Serres Michel, Le contrat naturel, Édition François Bourin, Paris, 1992.